بالعنف.. كلنا بالهوى سوى

محمد فؤاد راشد

أشعر ببعض الحساسية تجاه الموضوعات الحقوقية التي تتعلق بقضايا المرأة، لا أفضل التكريس لمناصرة المرأة على أنها كائن ضعيف تغتصب حقوقه، أرى في كثير من الأحيان أنها شريك رئيسي في ذلك، سواء كانت تزرع العنف داخل النموذج الذكري الذي تتعامل معه وتدفعه لممارسة العنف عليها، أو تستسلم للعنف الذي يوجهه إليها دون مقاومة.

دوما الحديث عن العنف الموجه للمرأة يجد الكثير من المناصرين والعديد من الجمعيات التي تناصره، فاليوم موضوع المرأة المعنفة وتمكينها هو من أكثر الموضوعات التي تحظى بالاهتمام والتمويل من جهات عدة.

لست ضد تمكين المرأة نهائيا، لكنني ضد التكريس لذلك طوال الوقت، ومنح الرجل نفس الفرصة، منذ أيام كنت أقرأ في مقالة أجنبية مترجمة للعربية حول العنف ضد الأزواج، أعجبتني بشدة هذه الدراسة لأنها فتحت مجالا للنقاش حول أوجه مختلفة للعنف، فالعنف ليس فقط هو استخدام القوة البدنية ضد الكائن الأضعف، بل يمتد تعريف العنف إلى الإساءة اللفظية نحو الآخر والسخرية منه.

وبالتالي فإن ما تحدثت عنه الدراسة من أن نسب العنف الموجهة للمرأة من الرجل تساوي نفس نسب العنف الموجهة إلى الرجل من المرأة، بالطبع لا نستطيع تعميم ذلك على كل الثقافات، خاصة أن الدراسة كانت على شريحة من المجتمع الأمريكي، والأمر قد يختلف قليلا في المجتمع اليمني، المحافظ ،لكنه أيضا لن يختلف كثيرا.

أحب مراقبة نمط العلاقات بين الأزواج من خلال رؤية التفاعل الحي المباشر أو نميمة الزوجات على أزواجهن سواء بغرض علاجي أو بغرض اجتماعي من خلال علاقات الصداقة.

ومثالا على كلامي فإن المرأة المصرية تعطى لزوجها وضعه الاجتماعي أمام الآخرين وتدعمه بكل الطرق وتحافظ على صورته الاجتماعية كسيد للقرار، بينما تمارس ضده بعض ألوان العنف في المنزل، وكل منهما يمارس هذا الدور بالتبادل.

ويرجع انتشار العنف بينهما إلى افتقارهما للمهارات التي تمكنهما من التفاعل الصحي مع بعضهما، فتصبح السخرية والتقليل من أهمية أحلام الشريك حلا بديلا عن مناقشتها والاستماع إليها، ويصبح العنف البدني أحيانا حلا لخلاف في وجهات النظر، ليستخدمه الطرف الأقوى ضد الأضعف.

أستمع يوميا عبر شباك حجرة غرفتي إلى خلافات جارتي مع زوجها والتي تستخدم معه ألوانا مختلفة من العنف في كثير من الأحيان، ورغم ذلك تبجله تبجيلا شديدا أمامنا وتشعرنا بأنه سيد قرارها.

أظن أن كلا الطرفين العنيف والمعنف يحتاج إلى تعلم مهارات حياتية تساعده إما لاستخدام أسلوب بديل أو كيفية توكيد حقوقه ومواجهة آثار العنف، واتجاه الجمعيات الأهلية والجهات المانحة إلى تقديم خدمات إلى المرأة المعنفة فقط أمر مبالغ فيه وضيق الأفق، وليست له آثار إيجابية طويلة المدى.

المشكلة أيضا أن هناك إنكارا شديدا من المجتمع حول العنف المتبادل، وأيضا صور العنف. ويصر على تكريس العنف فقط في العنف البدني ضد المرأة وقتل الأزواج بصفته صورة للعنف الموجه ضد الرجل، وهو ما يمثل صورة واحدة فقط من صور العنف، فاتجاهات الأفراد ترفض بشدة العنف الموجه ضد الرجل وتتعاطف مع المرأة حينما يوجه العنف ضدها.

أضبط نفسي متلبسة ومتورطة في التعاطف بشدة مع الرجل حينما يتعرض لأي نوع من أنواع العنف، في حين أنني أغضب عندما أشعر بأن امرأة ما تعرضت للعنف، وأظل أتساءل عن دورها في حماية نفسها ومدى سماحها بهذا العنف. بالطبع هذا أمر يحتاج لمراجعة شديدة مني مرة أخرى، لكنه يعكس اتجاهاتي نحو مدى تقبلي للعنف ضد المرأة وضد الرجل، وأظن أن هذا حال كثيرين.

حتى الدراسات النفسية في المجتمع اليمني محصورة فقط في العنف الموجه ضد المرأة أو ضد الأقران، ومن النادر جدا أن تجد دراسة تتحدث عن العنف ضد الرجل.

أظن أننا نحتاج إلى مجهود أكبر في مجالات تنمية مهارات التفاعل وخاصة فيما يتعلق بكيفية حل الصراع وذلك بشكل متاح لكلا الجنسين بدون توجهات مسبقة بأن المرأة تحتاج وحدها لتعلم مهارات تساعدها وتمكنها من مواجهة عدوان الرجل.

أظن أن كلا الطرفين يحتاج لتعلم مهارات تساعده في حل صراعه مع الطرف الآخر، وتساعده في فهم أفضل لنفسه واحتياجات الشريك الآخر.

العنف ضد المرأة في ميزان الإسلام

مواضع كثيرة في القرآن الكريم توضح مكانة المرأة في المجتمع وحقوقها وواجباتها وضرورة الدفاع عنها والأخذ بيدها إلى طريق الهداية والخير والعدالة والإنصاف، لا سيما في سورة النساء، علاوة على أن القرآن الكريم لم يفرق بين الذكر والأنثى في آياته الكريمة وهديه القويم كإشارة إلى المساواة في النظرة والمعاملة. وكثيرة هي الأحاديث التي توصي بالمرأة وتحث على احترامها وتقديرها ووضعها في المكان الذي تستحقه باعتبارها عنصرا أساسيا من عناصر الحياة فلولاها لما وجدت الحياة ولما ولد الإنسان، فهي عنصر مكمل للرجل، وهي أساس المصاهرة التي تجيز الإنجاب، كأساس لاستمرارية المجتمع و نمائه.

و هناك إشارات واضحة في الكتاب والسنة إلى أن الإسلام لا يفرق بين المرأة والرجل في المهام ولا في الثواب قال تعالى: {ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا، ولا في العقاب قال تعالى: من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب}.

وقال تعالى: {فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب}. الإسلام دين السلام والمحبة والإخاء، يرفض العدوان بجميع صوره، والقرآن الكريم كتاب الله المنزل على رسوله يحذر من العدوان.

وجاء في خطبة الوداع للنبي عليه الصلاة والسلام: أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم .

وعن عائشة قالت: ما ضرب رسول اللهِ عليه الصلاة والسلام شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم الله عز وجل. رواه مسلم.

ونبه صلى الله عليه وسلم إلى نبذ الحسد والبغضاء والتدابر والخذلان مما يطلق عليه في علم النفس المشاعر العدوانية أو العدائية فعن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات.بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) رواه مسلم.

ويجمع حديث أبي هريرة نماذج من العدوان تتمثل في الشتم والقذف وأكل مال الغير وسفك دماء الآخرين حيث يدمغها النبي بأنها الإفلاس أمام الله تعالى يوم القيامه وضياع كل ما قدم المرء من صلاة وصيام وزكاة، بل ويكال عليه من خطايا من وقع عليهم عدوانه حتى يطرح في النار حيث يروي أبو هريرة أن رسول الله قال: (أتدرون ما المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار). رواه مسلم.

إن القيم الإسلامية التي تحكم المجتمع المسلم، ترسم النهج التربوي السليم الذي يحرص الآباء والمعلمون والمربون في المجتمع المسلم على تربية الناشئة عليه حفاظا على كيان ذلك المجتمع وحرصا على بقائه واستمراره لأن البقاء الحقيقي للإسلام ليس بقاء الأفراد وإنما هو بقاء القيم والمبادئ والأحكام التي يقرها الدين.

منتديات أحباب الأردن

العنف المنزلي يخلق الرهبة والشعور بالإهانة والمذلة ويدمر احترام الإنسان لذاته ويتخذ أشكالا عديدة..(أم ابنة أو أخت) تعاني من العنف النفسي الذي يرتكبه بحقها رجال العائلة بإهانتهن إهمالهن ويعانين من الاحتقار والشتم والكلام البذيء والتحقير والحرمان من الحرية..